الضّجرات

محمد الخالدي

«ولي ضجرات واختيارات»

المتنبّي

طور من سيرة المتنبّي

كان للمتنبّئ عاداتُه وطقوسُهُ:
يخلعُ جبّته في المساء
ثم يرقص محترقاً بين نار القصيدة تجتاحُهُ
وانعدام الرجاء.
كان للمتنبّئ عاداتُه الفوضويّةُ
يرمي بنعليْه،
يخلع سرواله ثم يغْرقُ في الضَّحْك:
ـ وجهُك، كافورُ، مثلُ حذائي.
كان للمتنبّئ أحلامُهُ:
يشتهي مُدْناً وممالك يحكمُها وحدَهُ
يشتهي أن يكون الأمير
يطوفُ بمجلسه موكبُ الشعراء.
يطفح المتنبّئ ناراً
فيخرج للنار معتمراً حزنه السرمديَّ
ويصرخُ محتدماً:

ـ أين سيفي وأين لوائي؟
طال دربي فما عدتُ أذْكر وجهي
ولا عدتُ أذكر لونَ سمائي.

ـ إن دربك يا صاحبي وعْرةٌ
كلّ من رامها حفيتْ قدماه من السَّيْر
ها أنت تشحبُ، تجْحَظُ عيناكَ
يصبح وجهُك ملحمةً ومسلّة حزنٍ
كتبنا عليها تقاويمنا. منذُ ألف
وأنت تُغالب أوجاعك المشرئبّةَ
تضرب في الأرض جذْراً
وفي الزّمن المتوجّس جذراً
... أما زلت تزْحمُ دهرك؟
كم طُرْقا جُبْت؟
كم مدناً وطئتْ قدماكَ...
وكمْ؟؟
فلماذا تجيءُ إلينا ركاماً من الذكريات
وجرحاً ينزُّ صديداً ودمْ؟؟
.....
هيَ ذي الأرضُونَ تضيقُ،
يضيق المدي، ويضيقُ، يضيقُ،
وقلبُك صحراءُ ما أنبتتْ غيرَ شوكٍ
وما اتّسعتْ لسوى الحزن.
كلُّ الدروب تَحامتْكَ. مَنْ أنتَ؟
من أين جئتَ وهذا الزمانُ عقيمٌ؟
وكيف وصلتَ وهذي الطريقُ حجرْ؟
ـ قدرٌ ذاك قيل، وإنّي لأَلْعَنُ هذا القدر!

صورة أخرى للمتنبّي

ـ من هذا المنفوشُ الشَّعر؟
ـ المتنبّي
ـ من هذا الْيمْشِي منحنيَ الظهرِ؟
ـ المتنبّي
ـ من هذا الْيضربُ في التّيه القفرِ؟
ـ المتنبّي
ـ من هذا الملفوفُ بجبّته؟
ـ المتنبّي
ـ من هذا المستوحِشُ في وحدته؟
ـ المتنبّي
ـ من هذا المجنون؟
ـ المتنبّي
ـ من هذا المنبوذُ؟
ـ المتنبّي
.....

ـ آخرُ الشعراء؟

ـ رجلٌ أشعثُ الشَعرِ مُمتلئٌ

هوساً وقصائد ممنوعةً

ـ آخرُ الأنبياء؟

ـ رجل يرتدي حزنه وينوءُ بقامته

حفرتْ وجههُ السنواتُ العجافُ

روى بعضُهم: كان يحترفُ الشعرَ والموتَ،

يحلم أنْ سيجيء زمانٌ

يبدّل فيه عباءته، سيفهُ

وروى آخرونْ:

كان بدْء الزمان الضنينْ.

أغنية النأي

هاجك الشـــوقُ والنَوى

فـــحنَنْتَ إلى الشـــآمْ

خل عـــينيك تدْمـــعا

مـــا لنا هاهُنا مُـــقـــامْ

أجـــدب الربعُ بعـــدنا

وعـــرا عُـــمرَنا السّـــقـــامْ

يا خليليَّ ســـــاعـــةً

نُقْـــرئ الجـــيـــرةَ الســـلامْ

عَـــمْـــرها الأرضُ مـــا درتْ

أنَنا الشـــوقُ والضَـــرامْ

أين منّا مـــعـــاهدٌ

ريحُـــهـــا الشّـــيحُ والبَـــشَـــامْ

غـــربةٌ، ليس تنتـــهي

ودمـــوعٌ لهـــا انســـجـــامْ

مـــا سلونا وإنّمـــا

شطّت الدارُ والمقـــامْ.

علاقة I

سألْنا ونحن بأرض الجزيره:

لماذا يموت النخيلُ بأرض الجزيره؟

سألنا، فما ردّ وادي العقيقِ

ولا نخلةٌ بالجوارِ... افترقْنا

كأنّا بجرْعائها ما رمَتْنا الهجيره

كأنّا برمْضائها ما احترقْنا

كأنّا بأرْبُعها ما أرِقنا

رسومٌ لنا لو نطقْنا

أهَجْنَ حنيناً وأورثْنَ سهداً وحيره

.....

نَحنُ ويغلبُنا الدمعُ إمّا شربْنا

وإمّا أفقنا

نحنّ ولكنّ أرضَ الجزيره

تقيمُ وتنْأى

لِتُورِثَنا حُزْنَها والدموعَ الأخيره.

علاقة II

نخلةٌ بالجزيره

كلّما لفحتْنا الهجيره

عرّشتْ ثم حلّتْ ضفائرَها

وَوَقَتْنَا الهجيره.

رجاء

رجوتُكَ ألاّ تجيءْ

لغةٌ ثَيِّبٌ وزمانٌ رديءْ

رجوتكَ ألاّ تجيء

ليس لي غيرُ حزني وهذا المِدادُ الذي لا يضيء!

تونس